اثبات الروح بالمباحث النفسية

تعليقات على ملاحظات

٦

ذيّل المقتطف الزاهر مقالتنا الخامسة المنشورة في جزئهِ الماضي بكلمات ختمها بسؤال وجههُ الينا لنجيب عنهُ . وانا نرى ان في مناقشة تلك الكلمات والاجابة عن ذلك السؤال اكبر فائدة للبحث الذي نحن بسبيلهِ فليعذرنا حضرات القراء اذا استوعبتْ هذه المقالة تلك المناقشة وارجأنا متابعة البحث الاصلي للاجزاء المقبلة فان للمقتطف مباحث اخرى يطالب باستيفائها فلا تتسع صحفهُ من هذا البحث لاكثر مما نوردهُ اليوم

تعقيب المقتطف على مقالتنا يشمل قضيتين :

(الاولى) لومهُ ايانا على اتهامنا من لا يصدق التجارب الروحية بالالحاد الى المذهب المادي

(والثانية) سؤالهُ ايانا عن وجه عدم اعتداد كاميل فلاماريون الذي بحث هذه الظواهر اربعين سنة باجابة روح الفلكي عن المفاضل الفلكية واتمام ديكنز لروايتهِ الناقصة وكلا الامرين من اختصاصهِ

(رأينا في القضية الاولى)

المكذبون للتجارب الروحية ثلاث طوائف وهم الدينيون والماديون وبعض الفلاسفة الاعتقاديين

فالدينيون يعتقدون وجود الروح من طريق الوحي وكتبهم مشحونة بظهور ارواح الانبياء والصالحين في كل مكان وكل زمان ولكنهم يطعنون على التجارب الروحية الحديثة من جهة اعتبارات مذهبية ويدعون ان تلك الارواح المزعومة هي من اخبث الشياطين جاءت لتضليل الناس

واما الماديون فيكذبون تلك التجارب جملة وتفصيلاً ويدعون ان اخوانهم الباحثين فيها قد وقعوا في شباك التدليس وتردوا في الفخاخ التي نصبها لهم

المشعوذون . هكذا كان يقول وليم كروكس واوليفر لودج وكاميل فلاريون وشارل ريشيه وسيزار لومبروزو وغيرهم فلما سنحت لهم فرص للتجارب ورأوا صحة ما كانوا يكذبونهُ بالامس واعلنوا ذلك بشجاعة ادبية يحمدون عليها ضحك منهم المتخلفون وزعموا انهم وقعوا في فخاخ المشعوذين كما وقع من قبلهم . وما زال الامر يجري على هذا المنوال منذ اكثر من سبعين سنة حتى بلغ عدد العلماء الذين جربوا الظواهر النفسية وصدقوها حدًّا فاق ما لكل فرع من فروع العلم فجازوا حدود المئين الى الالوف في جميع انحاء المعمور ووصل عدد من نحا نحوهم من الشعراء والكتاب والاطباء والمحامين والمهندسين والسياسيين الى بضعة ملايين وصار لهم صحافة واسعة النطاق وجمعيات تعد بالمئات . ونقلت المجلة العلمية الاخلاقية للاسبرتزم التي يديرها المهندس (جبريل دولان) في جزئها الصادر في شهر يونيو الماضي عن جريدة الاكلسيور ان الكاتب الانجليزي الكبير كونان دويل اعلن اعتقادهُ بهذا المذهب وعقبت تلك المجلة على ذلك بقولها ان هذه المباحث قد انتشرت في انجلترا انتشاراً عظيماً حتى لا تصادف مجمعاً اونادياً او ملهى الاَّ وجدت المجتمعين فيها يتجاذبون فيها اطراف الحديث. وقد انتشرت ايضاً في امريكا على هذا النحو . فمثل هذه الجاهير من كبار المتمدنين لا يعقل ان يعمهم الانخداع عشرات من السنين وان عقل انخداع الافراد فلا يعقل انخداع الجمعيات الكثيرة التي الفت لهذه المباحث خاصة وسرَّيت عليها فيها الاساليب العلمية العملية

وقد احسن العلامة كاميل فلاريون حيث قال في مقدمة كتابهِ (القوى الطبيعية المجهولة) صحيفة ٥ :

« كلما فكرت في هذا الامر عراني الدهش من ان معظم الناس لا يزالون يجهلون هذه الحوادث جهلاً مطبقاً مع انها عرفت ودُرست وقدرت وسجلت من منذ زمن ليس بقصير بفضل جميع الذين تتبعوا بنزاهة اتجاه هذا النور الجديد »

واما الاعتقاديون من اهل العلم والفلسفة فقد اعتبروا الفروق العظيمة بين الحياة الانسانية وحياة الاحياء الاخرى فحكموا بوجود روح انسانية من

طريق النقض والترجيح ولهم كلام ضوين في هذا الباب سقط كلهُ امام شبهات الماديين حتى خفت صوتهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فانتشر الالحاد في اوربا انتشاراً مريعاً وجاءت مذاهب النشوء والارتقاء وأخصها مذهب داروين فوصلت بين حلقات الاحياء وحشرت بالانسان في رتبة الحيوانات الثديية ولم تمنحهُ الاَّ هذه المزية وهي انهُ ارقى أنواع هذه الرتبة. واقتدح علماء الفزيولوجيا افكارهم ليجدوا فرقاً بين الانسان والحيوان من جهة العواطف القلبية والميول النفسية والقوى الادبية والعقلية فلم يعثروا على شيء من ذلك الاَّ في الكم دون الكيف. الاَّ ان العلامة دوكارفاج الفرنسي زعم انهُ اهتدى الى فارق بين الانسان والحيوان وهو عاطفة التدين فادعى انها هي الوصف المميز لهذا الكائن الذي يزعم غروراً انهُ ملك الكون. فلم ينتشر رأيهُ هذا حتى سلقهُ اخوانهُ الفزيولوجيون بالسنة حداد وعجبوا منهُ كيف يجرأ على هذا القول وهو يرى ان الحيوان لا يتجرد من عاطفة الخضوع والخشوع والاسترحام وهي اساس العاطفة الدينية بمعناها العام. فالكلب الذي يتخاشع ويتخاضع امام سيده ويسترحمهُ بتحريك ذنبهِ ليعطف عليهِ ويرضى عنهُ اذا آنس منهُ الغضب لا يفترق عن الانسان في تخاضعهِ وتخاشعهِ عند سماعهِ زمجرة الرعد وهزيم العواصف او وهو متأثر بطاب مغنم او دفع مغرم لقوة خفية يظن ان بيدها تصريف هذه الشؤون الكبرى. فعاطفة التدين موجودة كما ترى في الحيوانات العليا ولكن على قدر قواها العقلية. فليس للانسان ادنى ميزة على الحيوان من هذه الوجهة ايضاً. وقد افرد هذا الموضوع بالتأليف

نعم عدَّت مذاهب النشوء والارتقاء على عقيدة الروح وان كان داروين نفسهُ تظاهر بالايمان. ولكن لم يفت هذا التناقض كبار افكاره من معاصريهِ فزعم بعضهم انهُ لصنع التسامح امام العقائد ليصد حملات الدينيين عليهِ وعلى مذهبهِ. ومن قال منهم اخلاصهُ في ايمانهِ رماهُ بالعجز عن استقصاء كل النتائج التي يؤدي اليها رأيهُ في النشوء والارتقاء

فاين ذهبت زخارف الاعتقاديين من الفلاسفة في امر الروح امام هذا السيل الجارف من الملاحظات العلمية والمشاهدات الفزيولوجية وما تخللها من الحملات

القوية على العقائد والموروثات ؟ آوت الى بعض الرؤوس ومن بينها رؤوس كبيرة وجدوا في انفسهم من الجرأة ما دفعهم الى الجهر بمقائدهم فهز الغبار التحول رؤسهم متضاحكين وقالوا هذا مصداق لناموس الوراثة الذي نعول عليهِ في نقل الصفات المكتسبة . فان عقيدة اكتسبها الانسان منذ الوف السنين لا يمكن ان تزول في اعوام معدودة فلا بد من مرور اجيال لتحل محلها المقررات الجديدة

على ان الباقين من هؤلاء الفلاسفة الاعتقاديين لا يعبأون بعقيدتهم في الروح الاَّ من الوجهة الفلسفية الكلامية فهم لا يعملون على استشراقها ولا يأبهون بالباحثين المجربين فيها . وكثير منهم ينتقد هذه التجارب ويدحضها ولم يكلفوا انفسهم عمل تجربة واحدة متأثرين بنفس الاصول المادية التي تغلبت على رجال العلم في القرن الماضي. وسيرتهم في ابطال هذه الحوادث منقولة عن سيرة الماديين انفسهم الذين يزعمون ان ليس وراء المادة مرمى . والاَّ فان الرجل اذا اعتقد فلسفيًا ان المادة مجهولة الاصل وانها قد تتحلل وتستحيل الى قوة وان ممكنات الكون غير محصورة وان حواسنا الخمس من القصور والضؤولة بحيث لا تصلنا من الوجود الاَّ باغلاظ جهاتهِ وان العقل قد لا يكون صفة من صفات المادة بل متنزلاً من عالم ارقى منها وان علومنا الارضية على جلالتها لا تساوي قطرة من بحر العلم المطلق — إن رجلاً يعتقد مثل هذه الاصول من الوجهة الفلسفية لا يتحفز لتكذيب كل بحث جديد ولا يتعجل في البت بنقض كل نظرية بدون امتحان مدقق ولا يتهم الوف العلماء وملايين من الاذكياء فيما يدعون انهم شاهدوا اموراً على الاسلوب العلمي الدقيق في مدى اكثر من سبعين سنة بانهم ممخرقون ضالون . بل يتئد ويستجمع كل ما كتب في هذا الموضوع ويلقي عليهِ نظرة عامة ويتتبع سير المباحث ويظهر امامها عظيم المستعد لقبولها متى بلغ عدد العلماء القائلين بها حدًا يستحيل معهُ اجماعهم على ضلالة او وقوعهم في حبالة او اتفاقهم في البلادة العقلية والبله

ولكن الذين يكذبون هذه المباحث وان كانوا من المعتقدين بالروح لا يسلكون هذا المسلك بل يسرعون الى تكذيبها باعتبار انها مستحيلات علمية

او مظاهر خيالية . وهذا بعينهِ سيرة الجامدين على الفلسفة المادية. وهم ما ظهروا بهذا المظهر على مناقضتهِ لاصولهم الاَّ لتأثرهم على غير علم منهم باصول تلك الفلسفة وانحصارهم في دائرتها الضيقة. فالعدو المدود لكل بحث روحاني هو تلك الفلسفة دون سواها سواء كانت بذاتها وجهاً لوجه او بمظهر من مظاهرها الكثيرة في الفلاسفة الاعتقاديين وغيرهم

لهذا السبب اتهمنا الذين يسرعون الى تكذيب المشاهدات الروحية بدون بحث او الذين يهزون اكتافهم عند سماعها لعدم الاهتمام بها بأنهم ماديون جامدون على المادية فان لم يكونوا ماديين فهم متأثرون بالفلسفة المادية ومحبوسون في دوائرها الحرجة على غير علم منهم . ولا نخلي العالم من وجود افراد مثل العلامة صاحب هذه المجلة وقفوا موقف الحياد ولم يتأثروا بالتعاليم المادية الا انهم من القلة بحيث يصح اغفالهم من باب التغليب

(رأينا في القضية الثانية)

كيف لا يعتقد العلامة كاميل فلامريون بان روح فلكي مشهور تكشف التناع عن بعض المساتير الفلكية وان روح كاتب كبير تكمل رواية تركها ناقصة مع ان كلا الامرين من اختصاصهِ

الجواب : ان كاميل فلامريون بمقتضى مذهبهِ لا يرتاب في ان روحاً من العالم الروحاني تأتي فتحل بعض المعضلات او تكمل ما تركهُ بعض الكاتبين ناقصاً. ولكنهُ يرتاب في صحة شخصية تلك الروح اي في ان تلك الروح الظاهرة هي روح هذا الميت او ذاك . ويرى ان الادلة لديهِ غير كافية في اثبات الشخصيات ويرجح ان تلك الآثار العقلية اما احدثتها ارواح المجربين مجتمعة ان كانت لا تتعدى قدرتهم العلمية واما اتت بها روح من طبيعة غير معروفة للبشر موجودة في العالم الروحاني وهي غير الروح الانسانية . وهو لا يصير الى هذا التعليل الاَّ متى رأى ان تلك الآثار العقلية تفوق قدرة المجربين منفردين او مجتمعين كما هو الشأن في الاخبار عن اجرام علوية مجهولة او احداث كتابة ليس في قدرة احد احداثها غير افراد معدودين في العالم كلهِ لم يكن منهم واحد في جلسة التجربة

على ان كتابات الرجل في هذا الموضوع تدل على حيرته الشديدة كما نقلناه عنهُ في مقتطف يوليو صحيفة ٤٣ فقد ذكر ان امامهُ احدى عشرة مشاهدة اربعا منها يمكن ان تعلل بان روح الوسيط مرت فنقلت ما قالتهُ عن القواميس والجرائد وان السبع الباقية منها لا يمكن تعليلها الاَّ بالقول بانها ارواح الموتى الذين تدعي الارواح بانها ارواحهم

هذا موقف الاستاذ فلامريون وهو بعينهِ موقف جماعة من الباحثين في الروح ولا بد لنا من كلمة في هذا الموضوع وان لم يجيء وقتها لاعطاء القارىء فكرة في هذا الباب فنقول :

اجمع العلماء والعقلاء الذين بحثوا في الظواهر الروحية منفردين او مجتمعين على انها حقة لا يمسها الارتياب فيها بعد ان مرت من مدخل الامتحان العلمي الدقيق عشرات من السنين . ولكنهم اختلفوا في امر واحد وهو صحة شخصية الارواح التي تتصل بالاحياء هل هي ارواح الاشخاص الذين تعينهم بالاسم ام هي شخصيات تتكون من مجموع ارواح المجربين او ارواح عالمية اخرى مجهولة الطبيعة او ارواح الشياطين ؟

فذهب الكثيرون من العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ الكبير روسل ولاس الفزيولوجي بانها ارواح الاشخاص الذين تعينهم بالاسم مرتكنين على انها لو كانت غير ذلك لما اجمعت في كل بلد ولدى كل امة على انها ارواح الموتى طول هذه المدة ولوُجد منها من يصدق المجربين بذكر حقيقتها ولو مرة واحدة

ثم ان هذه الارواح تأتي فتتجسد على صورة اشخاص الميتين وتتكلم بلغاتهم وتكتب بخطوطهم وتوقع بتوقيعاتهم وتذكر اهلها بما لهُ صلة من ماضيهم معها وتدلهم على مواضع اشياء كانوا ستروها عنهم فلو كانت ارواحاً غير ارواحهم لما اتقنت التدليس عليهم الى هذا الحد وعلى هذا الوجه الباهر

ثم قالوا واي حظ للشياطين او لارواح اخرى في نكران شخصياتها الى هذا الحد وانتحال شخصيات اخرى ؟ ان قيل انها تفعل ذلك للتضليل رد على القائل بانها تأتي بارفع درجات الحكمة وهي لا تدع وجهاً من وجوه الاصلاح الخلقي والنفس الاَّ جاءت بهِ بابلغ العبارات واكثرها تأثيراً على النفوس

ولكن الذي حير بعض الناظرين ان روحاً قد تأتي فتدعي انها روح فلان ثم تأتي روح فلان ذلك فتسأل عما قالتهُ في التجربة السابقة فتنكرهُ وتقول ان الروح التي جاءتكم قبلي هي روح شريرة اتت لتهزأ بكم في غيبتي

وقد شكا كبار المجربين هذا الامر لتلك الارواح واظهروا التشكك في صحة شخصياتها من جراء تلك الحوادث . فاجابوا بان عالمهم كالعالم الارضي فيهِ الطيب والخبيث . فالخبثاء يتهزون بعض الفرص لتضليل الناس والسخرية بهم على نحو ما كانوا يفعلون وهم على الارض . ويحذرون المجربين من الوقوع في حبالاتهم ويذكرون ان المميزات التي تميزهم عن اصحاب تلك الشخصيات هي انها تخلط في ماضيها ولا تكتب بخطها وانما تمثلها تمثيلاً ناقصاً فيتضح امرها بقليل من التأمل كما هو حاصل

فمسألة التحقق من شخصية الارواح هي عقدة العقد في المباحث النفسية وهي المسئلة الوحيدة القابلة للاخذ والرد بين العلماء . اما اثبات العالم الروحاني ووجود عالم عاقل فيهِ مجرد عن المادة يمكن ان تتصل بهِ بواسطة اشخاص ذوي استعدادات خاصة فقد اصبح من البدائه العلمية التي لا يصح التردد فيها بعد ملايين التجارب والمشاهدات السابقة

فكاميل فلامريون لا يكذب كما قلنا ان روحاً تأتي لتحل مسألة فلكية وتكمل رواية ناقصة ولكنهُ يرتاب في شخصية تلك الروح هل هي روح ذلك الشخص الذي تعينهُ بالاسم او روح عالمية اخرى مجهولة الطبيعة . فهو لا يرتاب في صحة المسألة ولكنهُ يرتاب في تعليلها

وفي ختام هذا البحث نقول ان المعركة القديمة بين الماديين والروحيين كانت قائمة على امكان او استحالة قيام الروح المجردة بدون مادة . اما وقد ثبت بهذه المباحث قيامها بدون مادة فان مسألة اثبات الشخصيات ثانوية . وقد تفنن العلماء في وسائل اثباتها تفنناً لا يخطر ببال غير امثالهم سأتي على طرف منها حينما نصل في بحثنا الى هذا الموضوع هنا ان شاء الله

محمد فريد وجدي

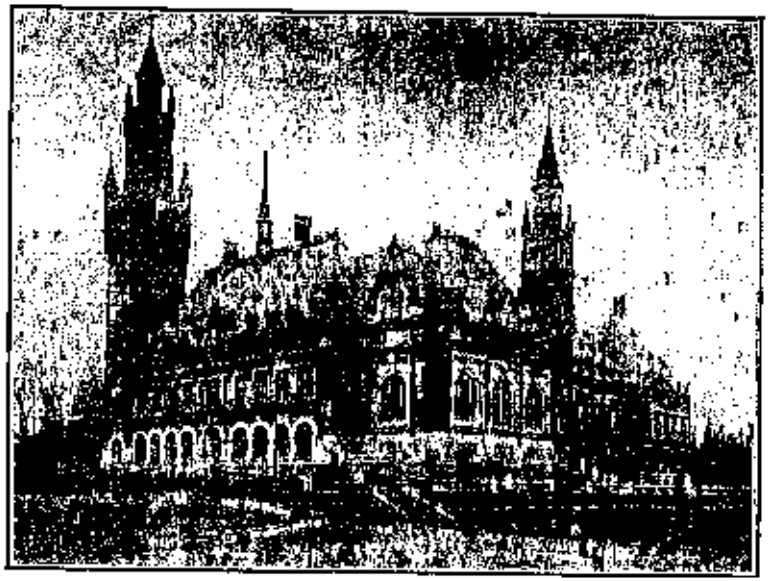

قصر السلام

اندرو كارنجي

مقتطف سبتمبر ١٩١٩
امام الصفحة ٢٢٩